

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية قسم اللغة و الأدب العربي - جامعة تلمسان -	مظاهر العنف من خلال التنشئة الاجتماعية	أ. قرل عبد المالك
المخلص: من البديهي والمسلم به أن التنشئة الاجتماعية بطرفيها المقصودة والغير المقصودة لها أهمية كبرى في تربية الطفل وتوجيهه في المجتمع ايجابيا ، لكن ما نلاحظه في الواقع أن هذه التنشئة أصبحت مولدة للعنف باحثة عن من يوجهها ؟... وحسب رأيي في هذا البحث لا بد من الإشارة إلى ظاهرة العنف من مصادره الكامنة ، ألا وهو السلوك الإنساني الذي ولدته أوساط نفسية وتربوية مكونة من الأسرة والمدرسة والمؤسسات الثقافية في المجتمع .		

إن أسباب العنف متنوعة ، وتختلف من شخص إلى آخر ، ومن بيئة إلى أخرى فهناك ما ينتج عن حب الفرد تملكه الدنيا دون سواه ، وهذا ما يولد لديه نوعا من الأنانية المفرطة ، وهناك ما هو ناتج عن أسباب مرضية لا سيما النفسية منها ، حيث تؤدي بالمرء في كثير من الأحيان إلى استعمال العنف لتفريغ تلك المكبوتات الضاغطة على نفسيته .

فسلوك الإنسان ومعالم شخصيته تتحدد بناء على مرحلة الطفولة خاصة المبكرة منها ، لأن مرحلة الطفولة الأولى لها تأثير بالغ الأهمية على ذات الفرد وعلى حياته المستقبلية .

ويشير الخبراء و المهتمون بدراسة السلوك إلى أن انتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة يصاحبه تغيير هام في سمات شخصية الطفل مما يعزز لديه الإقبال على السلوك المضاد للعرق الاجتماعي والقيم السائدة وتفضيل التمرد على سلطة وقرار الكبار بالشكل الذي يصل إلى حد التصادم والصراع ومعنى هذا أن العنف هو فعل اجتماعي

حسب رأي ماركس فيبر حيث تخص هذه الظاهرة المجتمع وليس الفرد العنيف فقط ، لذا يجب تفسيره على ضوء مواجهاته التي هي في الغالب مواجهات كل الأفعال الاجتماعية ، كالعرف ، العاطفة ، والعقل .

يتضح لنا من هذه الفكرة أن مظاهر العنف قد تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية المقصودة والغير المقصودة في إحداث سلوك العنف حسب التكوينات التربوية والنفسية إذ أن هذا السلوك ولدته أوساط مكونة من الأسرة والمدرسة والمؤسسات الثقافية المنتشرة في المجتمع مما يتطلب بالضرورة تحديد مسبباتها وذلك في الأدوار الآتية :

1/ الأسرة :

تتكون التنشئة الاجتماعية الأسرية عن طريق التعلم ، وهكذا تصبح ذات تأثير موجه لسلوكيات الفرد أمام أمور الحياة ، فتختلف من وسط أسري إلى آخر نتيجة اختلاف نوع التنشئة الاجتماعية واختلاف الثقافة بوجه عام .

فقد لاحظ الباحثون في بريطانيا وفرنسا على الخصوص ، أن مشاكل الطفل السلوكية ، العلائقية والمدرسية مرتبطة بالفئات الاجتماعية ويظهر السلوك الشاذ والمنحرف لدى الأفراد المنتمين إلى الأوساط الفقيرة في المجتمع مهما تساوت فرص التربية والتعليم ، بحيث يشجع أطفال الفئات العادية أطفالهم على قيم المنافسة ، والنجاح ، والعمل الحر والاستقلالية ، بينما يفضل آباء الفئات الاجتماعية الفقيرة عدم مراقبة أعمال أبنائهم ، والسماح لهم بالتحرك أينما وكيفما شاءوا ، وهي قيم تؤدي في الأخير إلى الإهمال والتواكل ، والتقاعد عن العمل ، فالمكونات الثقافية للوالدين تلعب دورا خطيرا في توحيد سلوك الأطفال

ومن الآثار التي يتركها الأفراد على سلوك الأطفال وهو سوء التكيف أي التعبير النفسي لمظاهر العنف إذ يعرفه كمال الدسوقي بأنه عدم القدرة على تخطي العقبات البيئية ، أو التغلب على صعوبة المواقف (1)

فالمتغيرات الاجتماعية تظهر في أشكال نفسية منها الإحباط والإعاقة ، والدوافع والانفعالات التي تتولد عنها خبرات عند الطفل تؤدي إلى التنبؤ بسلوكياته ، وقد أشار الرفاعي إلى هذا الاتجاه بتذكيره لأهمية الخبرات الطفلية في البحث النفسي لسوء التكيف حيث يرجع هذه الأهمية إلى عمق تأثير الطفل ، بما يمس أمنه وسلامته ، وشدة ارتباطه بأولئك الذين ينشأ بينهم في الأسرة ، كما ترجع إلى المستوى الذي يمر به من حيث نموه العقلي (2)

وقد تكون دوافع العدوان لدى الأطفال قوية وعنيفة بوجه خاص إذا ما أحس بالحرمان من حقه الشرعي ، كأن يحرم من الأكل أو اللعب أو مصاحبة الأقران ، أو التمدريس أو الترويح مما سيبقى هذا السلوك أثرا عميقا في نفسه ، كما أن الطفل عندما يصبح هدفا للسخرية أو يتهم بأمور هوبريء منها ، أو عندما يتعرض للاستهجان أو النقد أو التوبيخ أو التقليل من شأنه فهذا ينقص من قيمته الشخصية ، ومن سلامته على وجه العموم ، وعليه فإن استجابة الطفل ستكون متشابهة لحالاتي الحرمان والإعانة (3)

2/ المدرسة :

إن ظاهرة العنف في الوسط المدرسي لم تقتصر على انتشارها بين التلاميذ وحسب بل تعدى الأمر ذلك إلى حد الاعتداء على الأساتذة والتربويين فالعنف في هذه المؤسسة يعتبر سلوكا أو تصرف يؤدي إلى إلحاق الضرر والأذى بالغير سواء كان الضرر جسيما أو نفسيا أو ماديا وهو ينتج عادة عن شعور التلميذ بالإحباط وعدم الاتزان النفسي وانعدام التوجيه التربوي ويمكن أن يمارس هذا العنف في شكل لفظي أو على شكل تصرفات وسلوكات مخربة ومؤذية بدرجات متفاوتة .

وعلى العموم يمكن تحديد أهم الأسباب التي تؤدي إلى تنامي العنف في الوسط المدرسي فيما يلي :

- أسلوب التنشئة داخل الأسرة وممارسة العنف العائلي ، فالأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى للطفل وهي التي تحدد معالم شخصيته وتعمل على تشكيل سلوكه وتنميته في المجتمع ، فالطفل يعكس السلوك الممارس داخل الأسرة ، فإذا كان سلوك العنف والفوضى والعادات السيئة هو السائد داخل الأسرة فإن ذلك السلوك هو الذي ينعكس خارج الأسرة من طرف الوالدين أو الإخوة قد يؤدي إلى تنامي سلوك العنف لديه .

- تعامل المدرسة من خلال الفرق الإدارية والتربوية بالقسوة مع التلاميذ واستخدامهم للأساليب غير التربوية ، كما أن الاستهزاء بالتلميذ وعدم احترامه والتوبيخ المستمر له كلها تصرفات تؤدي إلى تنمية الشعور بالانتقام لدى التلميذ

- حساسية مرحلة المراهقة تجعل الطفل يتمرد على أساليب التنشئة المكتسبة من طرف الأسرة والمدرسة والتمرد على القيم والمعايير وزيادة الرغبة لدى التلميذ في إثبات الذات

- قصور القوانين والتشريع في التعامل مع ظاهرة العنف
نلاحظ من خلال هذه الأسباب وغيرها كثير أن المدرسة لا تحقق الغاية المرجوة منها فيواجه التلميذ داخلها بالإحباط والإخفاق والفشل الدراسي وسوء التوافق مع المدرسة ومكوناتها نتيجة لسوء معاملة بعض أعضاء الفريق الإداري والتربوي للتلاميذ مما يدفع بهذا الأخير للتلاميذ مما يدفع بهذا الأخير إلى الانتقام من خلال سلوكات عنيفة تتراوح بين العنف اللفظي والعنف الجسدي

4/المسجد:

يعتبر المسجد أحد المؤسسات التربوية في المجتمع ، ولعل من أهم مقاصده ومهامه تنشئة جيل متشبع بتعاليم دينه وقيمه ومبادئه ، وفئة الأطفال هي التي تنماز بالحضور

الدائم إلا أن واقع هذه الفئة في الكثير من المساجد يبعث على التخوف والقلق ذلك اما يتعرض إليه هؤلاء الأطفال من مختلف أساليب المعاملات والتصرفات من طرف الكبار من المصلين والقائمين على المساجد ومما يثير التساؤل والانتباه من هذه الردود الفعلية ، ذلك الإنكار الشديد والزجر العنيف التي يبدونها المصلون اتجاه طفل أو مجموعة من الأطفال لسبب من الأسباب ، فنجد هذه السلوكات تتنوع من السب ، الشتيم والطرده العنيف ويصل بعض المسؤولين من داخل المسجد الى حد الضرب .

والعنف في مجمله ليس بالضرب باليد أو العصا أو نحو ذلك فحسب ، لكنه طيف متحرك من الإمكانيات والسلوك ، يتأرجح من الفكرة إلى الفعل ومن المجرد إلى الملموس ، حيث الكراهية تترجم بتعبير الوجه الحاقد، واللفظة السامة ومد اللسان واليد بالسوء (4)

إن تجمع الصحة من الأطفال ممن لديهم إحساس الرفض والمواجهة من طرف بعض المصلين ، يجعل منهم اعتماد أسلوب العنف بسهولة وتبنيه في معالجة علاقاتها بالمجتمع ومؤسساته وثقافته المخالفة لهم ، وهذا يلجأ الطفل إلى السلوك العدواني لإشباع حاجاته وتحسيس الغير بوجوده وأنه باستطاعته فرض سيطرته واثبات ذاته حيث أن العنف ضروري للتغلب على الشعور بالنقص من أفراد ، كما أنه يعد ضروريا لتحقيق أهدافه غير المشروعة وممارسة العنف الجماعي بمختلف أشكاله ومستوياته .

كما أن العنف الفكري هو أخطر أنواع العنف الموجهة نحو الأطفال ، فإننا نجد البعض ممن يستغل هذا الميول الديني لدى صغار السن ، فينحرف بهم عن المبادئ الصحيحة للدين تحت ستار التطبيق الأصولي لهذه البادئ ويدفعهم إلى الخروج على نظام المجتمع وقوانينه.

4/الإعلام

الإعلام وسيلة توصيل رسائل معينة إلى كل أفراد المجتمع ، كان لا بد أن يخضع لمعايير دقيقة في تسييره وتوصيله لهذه الرسائل يكون أساسها : الدين ، العلم ، العمل ، ولكن ما يعيشه الفرد حيال إعلامه لا يمت بصلة إلى ما أنشأ إليه فمن الغريب أن تبث وسائل الإعلام خاصة مع انتشارالهوائيات المقعرة أفلام الرعب والعنف تدفع الطفل عند مشاهدتها إلى تقليد أبطالها مما يوحى إليه رسم سيناريوهات يحاول تطبيقها في الواقع .

ونستطيع القول في النهاية أن هذا البحث مرده إلى بعض المقالات التي نشرت حول العنف في أعداد سابقة من مجلة المخبر ، اعتمدت عليها في دراستي باختصار ، بعد تمحيصها وتحليلها توصلت إلى أن أخطاء الكبار لا بد من تصحيحها بتوعيتهم بأهمية مواقفهم واتجاهاتهم سواء أكانوا أباء أو مدرسين ، فالتربية السليمة هي الركيزة الأساسية لتفادى أشكال العنف المختلفة ، ولا يكون ذلك بالحديث أو الخطاب ، بل لابد من سلوك هادف يترجم الخطاب إلى فعل يحسه الفرد .